دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: الكلام المنطوق والعمل المعجمي

المصدر: دراسات أدبية - مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية - الجزائر

المؤلف الرئيسي: بلخيتر، ناصر

المجلد/العدد: ع 6

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 2010

الصفحات: 117 - 130

رقم MD: 203314

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

قواعد المعلومات: AraBase

مواضيع: الضبط بالاعجام، علم الكلام، الكلام المنطوق، الاداء الصوتي، اللغات، الاتصال اللغوي

رابط: http://search.mandumah.com/Record/203314

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الكلام المنطوق و العمل المعجمي

أ- ناصر بلخيتر
قسم اللغة العربية - جامعة تلمسان-

يعالج هذا المقال أسبقية المنطوق من الكلام على المكتوب منه في حياة الإنسان، ذلك ما ألحّ عليه علماء اللسان المحدثون إذ قللوا من أهمية الكتابة في مقابل المنطوق، فحذروا من إهمال الاعتبار الصوتي في الكتابة، و هو مبدأ اعتد به المعجميون العرب القدامى؛ فكانوا يحرصون في عرض موادهم اللغوية على ضبطها بالنطق احترازا من الانحراف الصوتي من جانب مستعمل اللغة.

ومنهجهم هذا أعان على الحد من المشترك اللفظي و القلب المكاني في العربية. و لم يفت هذا المقال أن يعرج على المعجم المدرسي المعروض بشكله الحالي في دراسة النصوص الأدبية في مختلف أطوار التعليم ببلادنا ؛فأشار إلى بعض الثغرات الموجودة في المعالجة المعجمية لهذه النصوص، لا سيّما ما يتعلق منها ببعض المسلّمات الصوتية الغائبة في هذه المعالجة، والتي توقف المتعلمين على طريقة نطق الصيغ اللغوية المشروحة، و التي تشكل لهم مواد خام يوظفونها على أحسن وجه في إنتاجهم اللغوي المسموع أو المكتوب.

فاللغة المنطوقة تختلف عن اللغة المكتوبة، و هذه الحقيقة يقف عليها أقل الناس ثقافة كلما همّ بالكتابة، إذ يشعر أنه يستعمل لغة مباينة للغة المنطوقة، و كل من هاتين اللغتين ما هي إلاّ وسيلة تتحقق بها اللغة، ومن هنا يمكن أن نقول إن علاقتهما باللغة من جهة و علاقة كل منهما بالأخرى شبيهة بعلاقة الرموز الموسيقية بالموسيقا، وشتان بين الرموز الموسيقية و الموسيقا.

والطابع التجريدي للنظام اللغوي هو الذي يدفعنا إلى دراستها من خلال صورتيها المنطوقة والمكتوبة، والصورة المنطوقة هي الأهم و الأولى بالدراسة، لأنها أصل كل الوسائل الأخرى التي تتحقق بها اللغة، إذ ارتبط ظهورها بظهور الإنسان على وجه الأرض، فلا يعرف في التاريخ البشري الطويل أنه وجد تجمع بشري لا يتواصل أفراده بلغة منطوقة، أمّا الكتابة فهي وسيلة حديثة في حياة الإنسان لا يتعدّى عمرها على خمسة آلاف عام، و لا تزال إلى يومنا هذا لغات كثيرة في بعض القارات لا تتوفر على صورة مكتوبة.

وبناء على هذا يمكن أن نقول إن اللغة المنطوقة هي الأداة الأساسية و الطبيعية للغات الإنسانية، وهذا ما دفع ببعض الدارسين إلى الزعم " أنه في كل اللغات الطبيعية توجد أولوية تاريخية، و أولوية بنيوية، و أولوية وظيفية و ربما أولوية بيولوجية للكلام على الكتابة."(1)، ومن مزايا النطق أنه" يكاد يكون مطابقا للموجودات كمطابقة العدد للمعدود، و الدليل على ذلك كثرة اللغات و اختلاف الأقاويل، وفنون تصاريف الكلام ممّا لا يبلغ أحد كنه معرفتها إلاّ اللّه."(2)

وحينما ننظر في مسوّغ وجود اللغة المكتوبة فإننا نجده لا يتخطّى تمثيل اللغة المنطوقة فحسب، إذ وظيفة اللغة المكتوبة هي نقل اللغة من بعدها الزمني إلى البعد المكاني، أي تحويلها من ظاهرة سمعية صوتية إلى ظاهرة بصريّة خطّية، و إذا كانت اللغة المكتوبة تتميّز بالثبات و الجمود فإنّ اللغة المنطوقة حيّة و متطوّرة، إذ الخطّ " رسوم و أشكال تدل على الكلمات المسموعة الدّالّة على ما في النفس فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية."(3)

ولكن الكتابة لا تعكس الأداء بموضوعية تامّة، إذ " شهادة المكتوب على المنطوق تتّسم بالتّضليل و الخداع"(4)، حتّى إن كثيرا من الشعوب تعاني من مشكلة الرّسم الكتابي، إلى درجة أنّ بعض المفكّرين الفرنسيين عدّ مشكلة الرّسم الكتابي في اللغة الفرنسيّة مصيبة وطنيّة (5).

و لقد ركن العلماء في الدراسات اللغوية القديمة إلى اللغة المكتوبة دون المنطوقة، فكانت النتيجة المباشرة لهذا الاختيار أن جاءت قواعد النحو و الصرف مثلا في كثير من اللغات قواعد كتابة، لا قواعد نطق و فهم و إفهام(6)، و مثل هذا الأمر لم تستسغه المناهج الحديثة التي أعادت الاعتبار للغة المنطوقة في مقابل الكتابة و قواعدها في اللغة، حيث ذهب سوسير إلى أنّ موضوع اللّسانيّات لا يتحدّد في كونه نتيجة الجمع بين صورة الكلمة مكتوبة و صورتها منطوقة، و إنّما ينحصر في الكلمة المنطوقة فقط (7).

غير أن هذا الكلام لا يعني الانتقاص من قيمة اللغة المكتوبة، فهي كاللّغة المنطوقة تميّز الإنسان عن سائر المخلوقات، و اهتدى إليها للمحافظة على لغته المنطوقة، فهي بمثابة الجسر الذي شيّده لربط ماضيه بحاضره، إذ بات معروفا أنّ المجتمع الذي ليس له لغة مكتوبة إنّما يكون له حقل محدود من الشعور بماضيه (8).

والعلماء تكلموا عن الرموز و بحثوا في طبيعتها، إذ قال بعضهم عن الرمز بأنه " مثير بديل يستدعي لنفسه نفس الاستجابة التي قد يستدعيها شيء آخر عند حضوره"(9)، و ما الكلمات إلا رموزا تواضع عليها الناس و يشيرون بها إلى أشياء لأن اللغة "نظام من الرموز

الصوتية العرفية"(10)، و هو الأمر الذي أشار إليه ابن جني حينما حد اللغة بأنها " أصوات يعبر بها كل قوم أغراضهم."(11)،و هي إشارة واضحة منه إلى عجز اللغة المكتوبة و كونها وسيلة ثانوية أو تالية للكلام.

فابن جني بحده للغة بهذا الشكل يضارع أحدث التعريفات العلمية للغة على اعتبار أنها مجمعة على أن اللغة:

1- أصوات منطوقة.

2- و أن وظيفتها التعبير عن الأغراض.

3- و أنها تعيش بين قوم يتفاهمون بها.

4- و أن لكل قوم لغة.

فهذه هي الأركان التي يشملها تعريف اللغة عند المشتغلين بالدرس اللغوي، و إن توسع بعض العلماء فأدخلوا كل وسيلة للتفاهم في دائرة اللغة، كالإشارات و تعبيرات الوجه و دقات الطبول و غيرها، و لكن الأشهر هو حصر اللغة في الأصوات المنطوقة، و تمييز الرموز اللغوية عن الرموز غير اللغوية.

وفي تعريف ابن جنّي للغة دليل على أن اللغويين العرب القدامى لم يجاروا علماء فقه اللغة في أوروبا الذين عنوا بدراسة اللّغات المكتوبة،و إما نظروا إلى العربية على اعتبار أنّها لغة منطوقة قائمة على الأصوات المسموعة، و هو الأساس الذي يقوم عليه الدرس اللساني الصّحيح، و يؤكد ذلك منهجهم في جمع اللغة عن طريق الرّواية و المشافهة، و في اعتبارهم السّماع أصلا من أصول البحث اللغوي، و في وضعهم لشروط تخصّ العرض و المتلقّي في علم القراءات، كما لم يغفلوا قضايا التصحيف و التحريف من حيث هي أخطاء ناجمة عن الكتابة فوضعوا كتبا تعالج هذا الشأن.

ومثل هذا التعريف يشير حتما إلى أن" الكلام أسبق من الكتابة في تاريخ البشرية و في تاريخ الأفراد كذلك"(12)، و أن أفراد الكلم في حالة انعزالها تتمتع "بذاتية صوتية متحققة وثابتة بصورة قوية"(13)، غير أن هذه الذاتية قد لا نجد لها أثرا في الكلام المتصل و" غالبا ما تذوب و تختفي و إن كان ذلك بدرجات متفاوتة."(14)

ولذلك لم يفت علماء الأصوات المحدثين التقليل من أهمية الكتابة في مقابل الأصوات، حيث اعتبروا "الخط في جميع اللغات وسيلة ناقصة للتعبير عن الصورة السمعية الحية"(15)،

بل إن منهم من حذر من عاقبة إهمال المبدأ الصوتي في الكتابة فيصبح " الطريق أمامنا مملوءا بكل أنواع الصعوبات و التعقيدات"(16)، و الأجدر عندهم هو مقارنة الكتابة بالكلام المنطوق، لأنها " وسيلة أكثر احتواء على العناصر الذهنية و العقلية."(17)

وهناك جملة من العوامل تقف وراء حياة الكلمة أو موتها على لسان المتكلم، و لعل أهمها التزام هذا المتكلم الوضوح من جانبين:

أ- نطق الحروف نطقا صحيحا، و تحقيق خروجها من مخارجها التي تختص بها.

ب- نطق الكلمات كاملة بأجزائها، فلا يخرج الحرف الأخير ضعيفا، فينتفي الوضوح الصوتي، و تكون النتيجة في النهاية هي النقص و الإبهام في الكلام.

وفي المقابل فإن ملاحظة الخصائص الصوتية للكلام من طرف متلقيه؛ تعد خطوة هامة للكشف عن معنى هدا الكلام لأن " الجانب الصوتي قد يؤثر على المعنى مثل وضع صوت مكان صوت، و مثل التنغيم و النبر."(18)، و أن " أي لغة تعتمد أول ما تعتمد على الأداء الصوتي."(19)

ولقد كانت صناعة المعاجم من بين مجالات علم اللغة التطبيقي، التي عنيت بنطق الكلمات، فهو علم يدور حول"الكلمة إيضاحا و شرحا ليجلو منها ما نسميه المعنى المعجمي"(20)، و الكلمات في جوهرها مكونة من وجهين"وجه هو المعنى، و وجه آخر هو الصوت"(21) و لهذا السبب وجدنا علماء الأصوات في بعض اللغات يضعون معاجم خاصة بنطق الكلمات.(22)

و في تاريخ العرب اللغوي الطويل، نجد أن العلماء الذين اشتغلوا في المعجمية؛ أدركوا أهميةَ ضبط الكلمات بالنطق، و عملهم هذا دليل على وعيهم المبكر، باحتمال الانحراف من جانب مستعملي اللغة، و من هنا جاء درؤهم لهذه المفسدة، بالإلحاح على طريقة نطق المواد المعجمية في أثناء شرحهم لها.

والانحراف في نطق الكلمات من جانب المتكلم، ينجر عنه سوء الفهم من جانب المخاطب " لأن مدار الأمر على البيان و التبين، و على الإفهام و التفهم"(23)، و سوء الفهم يدفع إلى التخمين، و التخمين غالبا ما يفضي بالمرء إلى استنتاجات غريبة.

وهذا الحرص الذي نلمسه عند المعجميين العرب، لا يعني أن العربية فيها جزافية وعشوائية، و إنما "الأسماء كلها لعلة خصت العرب ما خصت منها "(24)، أي أن وضع كلمة ما لمعنى ما هو تخصيص لكل منهما بصاحبه، كما أن "الحروف تعبر عن وقع الملمح على حس العربي بهيئة إخراجها و صفاتها و جرسها."(25)

ثم إن اهتمام المعجميين القدامى بتجلية المعنى الرئيسي لكل لفظ- باعتباره العامل الرئيسي في عملية الاتصال اللغوي- لم يمنعهم من تسجيل ألفاظ تحمل خاصية إيحائية في نفسها مثل:

1- الصلصلة: و هو صوت اللجام إذا ضوعف.(26)

2- الصهيل، للخيل.(27)

3- الخرير، صوت الماء.(28)

ومع تسليم المعجميين العرب بوجود كلمات تتوفر على خواص إيحائية، فإنه لم يغب عنهم بأن العربية ترفض نوعا من التوالي الصوتي، إذ هناك " حروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة، فإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها كالحرف الذي بين الباء و الفاء مثل(بور) إذا اضطروا قالوا(فور)."(29)

وربما كانت عناية المعجميين العرب بضبط نطق الصيغ اللغوية، عاملا قويا في تقليص دائرة المشترك اللفظي في العربية،لأن"الكلمة في اللغة لها طبيعة ثنائية و تتمثل هذه الثنائية في الدال و هو المكون الصوتي، و المدلول و هو المكون المعنوي، و قد يتغير المكون الصوتي للكلمة فتوافق لفظا آخر فينطبق اللفظان ليصير لفظا واحدا حاملا المعنيين كليهما :معنى الكلمة الأولى قبل تغيرها و معنى الثانية، فينشأ من ذلك المشترك اللفظي."(30)، كما أن عملهم هذا قلل من صور الانحراف اللغوي؛ كالقلب المكاني لا سيما عند صغار السن أو المتعلمين للعربية من غير العرب، الذي إن وقع من جانب مستعملي اللغة فإنه يمس بقاعدة " الفهم و الإفهام ".

فالكلمات ذات الصورة المكتوبة الواحدة؛ يصعب التمييز بين معانيها في حالة انعزالها، ولولا " صمام الأمان الذي يتمثل في السياق "(31)، الذي ترد فيه، و كذا ضبط شكلها في المعاجم؛ للبس أمرها على مستعمل اللغة.و أمثلة ذلك في العربية كثيرة منها:

1- سنة:

- ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (32)، بفتح السين، بمعنى العام.

- " من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها. "(33)، بضمها، بمعنى الطريقة والسيرة.

- ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴾ (34)، بضمها، أي حكمه في خليقته.

- ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (35)، بكسرها، بمعنى الغفوة.

2- **البر:**

- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾(36)، بفتح الباء، و هو اليابسة.
- ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (37)، بكسرها، أي الإحسان و كمال الخير.
- " بيعوا البر بالشعير كيف شئتم يدا بيد."(38)، بضمها، و معناه الحنطة (39).

3- **جن:**

- ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ (40)، بفتح الجيم، "أي أظلم،و هو بمعنى ستر"(41)
- " و جنّ النبت جنونا، بضم الجيم، أي طال و التف و خرج زهره"(42).
- " و جنّ الناس، بكسر الجيم،" معظمهم لأن الداخل فيهم يستتر بهم"(43)

و لقد كان المعجميون العرب مختلفين في النظر إلى مسألة ضبط الكلمات من الناحية النطقية. فإذا كان الأوائل و منهم كالخليل و ابن دريد و الأزهري لم يعنوا في معاجمهم بهذه المسألة، و لم يجعلوها سمة بارزة في تحليلهم للمواد اللغوية، و ذلك لقرب الناس في عصرهم من ينابيع اللغة الصافية، فإن المتأخرين منهم لاحظوا ضرورتها و الحاجة الماسة إليها، نظرا لاتساع البلاد التي عمها اللسان العربي، و دخول أقوام أعجمية بعاداتها الصوتية إلى حضرة الدولة الإسلامية الكبرى.

و كان هدف هؤلاء العلماء من وراء هذا العمل الجليل هو صون الأصوات العربية من الذوبان في غيرها من جهة و ضمان الاستمرار لها، و تسهيل تعلمها مركبة في ألفاظ تشكل فيما بينها بالتأليف تراكيب و جملا للتخاطب و التواصل.

و أول من اهتم بذلك من القدماء أبو علي القالي في معجمه "البارع في اللغة "، ثم الجوهري في" الصحاح " و حدا حدوهما الفيروز آبادي في " القاموس المحيط ". و اتبع هؤلاء ثلاث وسائل لبيان نطق الكلمة و هي:

1- **الضبط بالنص أو العبارة:** و من أمثلة ذلك قول القالي:

" شمج ثوبه يشمجه بفتح الميم في الماضي و ضمها في المستقبل وسكونها في المصدر: إذا خاطه خياطة متباعد الكتب."(44)

و قوله كذلك:" دبغ الجلد يدبغه و يدبغه بفتح الدال و الباء في الماضي، و فتح الباء وضمها في المستقبل، و سكون الباء في المصدر، و الدباغ بالكسر ما يدبغ به، و المدبغة بفتح الميم و الباء: الموضع الذي يدبغ فيه."(45)

و الملاحظ على القالي أنه لم يكتف بضبط الكلمات فقط، بل تعدى ذلك إلى بيان أزمنة الأفعال و نوع المشتقات كالمصدر و اسم المكان.

2- **الضبط بالوزن أو المثال:** و منه قول الفيروز أباذي:

" لغب لغبا و لغوبا كمنع و سمع و كرم... أعيا أشد الإعياء."(46)

و كذا قول الجوهري:

" الرّشأ على فعل بالتحريك، ولد الظبية الذي قد تحرك و مشى."(47)

3- **الضبط بالإعجام:** و من أمثلة ذلك قول الجوهري:

" تهتّأ الثوب: تقطّع و بلي، بالتاء معجمة بنقطتين من فوق, و كذلك تهمّأ بالميم."(48)

وحرص الجوهري على إعجام حرف التاء هنا؛ إنما كان لعلمه أن هذا الحرف يشترك مع ثلاثة حروف أخرى في الرسم و الهيئة؛ و هي (ب) و(ن) و(ي)، و لولا الإعجام لما استطاع مستعمل اللغة أن يميز بين (تهتّأ) و (تهنّأ) و (تهيّأ) مثلا.

و بالنظر إلى وضع اللغة العربية حاليا، نجد أن أكثر مواد اللغة التي سمعت عن العرب غير مستعمل و نائم في المعاجم إن لم نقل انقرض كلية، لأن حياة اللفظ تقدر بمدى استعماله وسريانه على لسان أبناء اللغة، و هذا الوضع الذي توجد عليه العربية إنما وقع مع حرص المعجميين بضبط موادهم، و لنا أن نتصور وضعها لو انتفى هذا الحرص من منهجهم.

و هذا الأمر ينسحب - في اللغة العربية- على الألفاظ التي أكثر حروفها أصلية؛ و من أمثلة ذلك:

1- " كنهدل "، كسفرجل؛ هو الصلب الشديد، و النون زائدة.(49)

2- " الجحمرش "، من النساء، العجوز الكبيرة.(50)

3- " الشقحطب "، كسفرجل؛الكبش له قرنان أو أربعة.(51)

فمثل هذه الألفاظ التي دونها المعجميون بمعانيها الثابتة و المسموعة عن العرب، لم يعد لها وجود في الاستعمال اليومي، بل هي غائبة حتى في اللغة الأدبية، و هذا يعني أن ضبطها نطقا

في المعاجم لم يشفع لها في البقاء و الاستمرار لسبب صوتي محض؛ و هو ثقلها على اللسان بما لا يتلاءم مع الحالة التي انتهى إليها تطور أعضاء النطق عند الإنسان العربي.

كما أن هناك ألفاظا ضبطها المعجميون بالنطق، و لكننا لا نجد لها أثرا في الاستعمال، و السبب في مواتها يعود إلى انتفاء مسماها الحقيقي في الواقع اللغوي. و يمكن أن نذكر على سبيل التمثيل:

1- " بربر "، تقول:بربر فهو بربار، مثل ثرثر فهو ثرثار.و البربرة الصوت و كلام في غضب(52)

2- " هيشة "، رأيت هيشة من الناس: للجماعة من الناس، بفتح الهاء و سكون الياء، ويقال جاء من الناس الهوش بفتح الهاء؛ يعني الكثرة.(53)

3- " الضئبل"، بالكسر و الهمز، مثال الزئبر:الداهية، و ربما جاء ضم الباء فيهما.(54)

و أحيانا نجد المعجميين يسجلون لنا أكثر من لفظ للتعبير عن معنى ثابت لا يمكن الاستغناء عنه في الواقع اللغوي، و يحرصون على ضبط كل لفظ. و مثال ذلك معنى إجراء الماء في الحلق، المعبر عنه في العربية بالفعلين (شرب) و(جأص)، حيث شرحه الفيروز آباذي فقال: " جأص الماء كمنع شربه "(55)، إلا أن البقاء و الاستمرار على ألسنة الناس كتب للفعل (شرب) لخفة نطقه، في مقابل خروج فعل (جأص) من الاستعمال، لصعوبة نطقه لأن مخارج حروفه متباعدة، إذ الناطق بهذا الفعل ينتقل من الوسط عند مخرج الجيم، ثم إلى الخلف عند مخرج الهمزة، فإلى الأمام عند مخرج الصاد، و في ذلك مشقة و عنت على اللسان.

و إذا كان المعجم ينهض بوظائف عامة منها بيان البنية الصوتية للكلمة و كيفية النطق بها، فإنّ له وظائف بيداغوجية تتمثل أساسا في مساعدة المتعلم على فهم المتن التعليمي من ناحية التركيب و الصرف و الصوت و الكتابة. و هذا الكلام يحيلنا حتما إلى إشكالية المعجم المدرسي و هي إشكالية مطروحة بحدة في المدرسة الجزائرية، إذ نسجل غياب معجم مدرسي خاص باللغة العربية مستقل بذاته، يتعاطى مع المتن التعليمي في هذه المادة، و كل ما نجده في البرامج التعليمية لا يتعدّى ما هو متناثر في الكتب المدرسية من شرح المفردات والمصطلحات في المواد العلمية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية.

و في أحسن الأحوال يكون هذا الشرح موقوفا على إيراد ضد المفردة دون الذهاب إلى أبعد من ذلك، ممّا هو داخل في المعجم المدرسي من مسلّمات نظرية و تطبيقية، و التي تمس الصوت و الصرف و التركيب و الدلالة.و الملاحظ أن المعجم المدرسي في تعامله مع الألفاظ في

المتون التعليمية يتخذ العديد من المسمّيات أو العناوين الديداكتيكية التي تدور في أغلبها حول معنى الشرح، و ذلك من قبيل:

أتعرّف على معاني المفردات(56)

أثري لغتي(57)

صل كل كلمة بمرادفها، أربط بين كل كلمة و ما يناسبها(58)

أثري رصيدي اللغوي(59)

ولعل أهم هذه المسلّمات الغائبة عن المعجم المدرسي في وضعه الحالي في الكتب المدرسية؛هي تلك التي تمس الجانب الصوتي، و التي تعدّ ثغرة بارزة في كل دروس معالجة النصوص الأدبية في مختلف أطوار التعليم في بلادنا، إذ أن إغفال طريقة نطق الصيغ اللغوية يقف حجر عثرة أمام فهمها أمام المتعلم و لا يدعّم تعلم اللغة عنده.

و من أمثلة ذلك معالجة الكتاب المدرسي للسنة الخامسة ابتدائي لكلمة " دنوّ " و التي وردت في النص المدروس في عبارة " دنوّ أجله "(60)، إذ نلاحظ غياب الإشارة إلى طريقة نطق هذه الكلمة خاصة و أنّها تحتوي على حروف ثلاثة متوالية الضم مع تشديد الحرف الأخير،ناهيك عن غياب الإشارة إلى الفعل من هذا المصدر و بيان المضارع منه، و ضبط نطقه بالوزن و المثال كأن يقال مثلا: دنا يدنو كسما يسمو و نما ينمو، أي قرب، و من قبيل هذا لفظ "صلات "(61) التي لم يشر إلى طريقة نطقها تفاديا للخلط بينه و بين لفظ "صلاة "، فيقال مثلا: صلات بكسر الصاد و فتح التاء، أي علاقات و روابط، و كزيادة في التوضيح يمكن تنبيه المتعلم إلى أن "صلات" مفردها "صلة" بكسر الصاد، و"صلاة " تجمع على" صلوات" بفتح الصاد.

كما نجد هفوة صوتية أخرى تتمثل في إغفال الإشارة إلى الحروف المعجمة و التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى تغيير المعنى كليّة.و مثال ذلك كلمة " ذليل "(62) في إشارة إلى الإنسان الذي يقبل الذل و الهوان و يرضى به، و لكن نطق الكلمة بالدال يغير معناها بالمرّة، فيؤدي معنى البرهان أو الذي يدل على الطريق الصحيح. و مثل هذه الإشارات تساعد المتعلم على التفريق بين الأصوات من جهة، و يدرك أنّ الإحلال الصوتي واقع في اللغة حيث " يحل فونيم محل آخر في كلمة ما فتنشأ كلمة ذات معنى مختلف"(63)، و من شأن هذا المسعى الزيادة في تثبيت المعاني في ذهه.

ورغم تقدم التأليف المعجمي في عصرنا، إذ يستفيد المشتغلون في هذا الحقل من التطور المعلوماتي الهائل، و يلحون على أهمية استخدام الأجهزة الحديثة بالنسبة لصانع المعجم أو مستخدمه(64)؛ فإن الدواعي العلمية و التربوية التي دفعت المعجميين القدامى إلى ضبط نطق المواد اللغوية؛لا زالت قائمة، بل إن وضع اللغة العربية الراهن يحتم على القائمين بالصناعة المعجمية الاستفادة من منهج الأقدمين

وتطويره لتثبيت النطق الحسن للصيغ اللغوية في أذهان المتعلمين، و هي خطوة ضرورية تمكنهم من الوقوف على معاني الألفاظ و حسن توظيفها في إنتاجهم اللغوي سواء كان مسموعا أم مكتوبا.

الهوامش:

(1) فوزي حسن الشايب: محاضرات في اللسانيات، ص42.

(2) إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، 391/1.

(3) ابن خلدون: المقدّمة، ص744.

(4) سوسير: دروس في الألسنية العامّة، ص64.

(5) فندريس: اللغة، ص43.

(6) أنيس فريحة: نظريات في اللغة، ص55.

(7) سوسير: دروس في الألسنية العامّة، ص49.

(8) فوزي حسن الشايب: محاضرات في اللسانيات، ص126.

(9) د.أحمد مختار عمر:علم الدلالة، ص12.

(10) نفسه: ص12.

(11) ابن جني: الخصائص، 33/1.

(12) ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص39.

(13) نفسه: ص55.

(14) نفسه: ص55.

(15) د. رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص410.

(16) ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص43.

(17) نفسه: ص46.

(18) د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص13.

(19) جورجي زيدان: الفلسفة اللغوية، ص131.

(20) د. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص224.-

(21)Gardiner, Alan: The Theory of Speech and Language: P 69-70.

(22) على نحو ما فعل دانيال جونز في معجمه " English Pronouncing Dictionary "

(23) الجاحظ: البيان و التبيين، مج1/ ص11.24() السيوطي: المزهر، 400/1.

(25) د. محمد حسن حسن جبل: المعنى اللغوي، ص136.

(26) الجوهري: الصحاح، مادة(صلل)، مج4/ ص1745.

(27) ابن منظور: لسان العرب، مادة(صهل)، مج4/ ص2517.

(28) الجوهري: الصحاح، مادة(خرر)، مج2/ ص543.

(29) السيوطي: المزهر، 272/1.

(30) د. محمد سعد محمد: في علم الدلالة، ص136.

(31) ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص141.

(32) البقرة:96.

(33) الحديث في صحيح مسلم: 705/2، رقمه: 1017.

(34) فاطر:43.

(35) البقرة:255.

(36) يونس:22.

(37) آل عمران:92.

(38) رواه الترمذي في سننه، و رقم الحديث 1240.

(39) ابن منظور: لسان العرب، مادة(برر)، مج254/1.

(40) الأنعام:76.

(41) أبو حيان: تفسير البحر المحيط، ج4/167.

(42) الجوهري: الصحاح، مادة(جنن)، مج5/ص2093.

(43) ابن منظور: لسان العرب، مادة(جنن)، مج1/703.

(44) أبو علي القالي: البارع في اللغة، مادة(شمج) ص620.

(45) نفسه: مادة(دبغ) ص351.

(46) الفيروز أباذي:القاموس المحيط، ص134.

(47) الجوهري: الصحاح، مادة(رشأ) مج1/53.

(48) الجوهري: الصحاح، مادة(هتأ) مج1/82.

(49) الزبيدي: تاج العروس، مادة(كنهدل)، ج30/360.

(50) ابن منظور: لسان العرب، مادة(جحمرش)، مج1/553- 554.

(51) الفيروز أباذي:القاموس المحيط، ص102.

(52) الجوهري: الصحاح، مادة(برر) مج2/588.

(53) أبو علي القالي: البارع في اللغة، مادة(هاش) ص101.

(54) الجوهري: الصحاح، مادة(ضأل) مج1/1747.

(55) الفيروز أباذي:القاموس المحيط، ص614.

(56) الكتاب المدرسي لمستوى السنة الخامسة ابتدائي.

(57) نفسه.

(58) نفسه.

(59) الكتاب المدرسي لمستوى السنة الثانية ثانوي للشعب العلمية.

(60) الكتاب المدرسي لمستوى السنة الخامسة ابتدائي: ص12.

(61) الكتاب المدرسي لمستوى السنة الرابعة متوسط: ص220.

(62) نفسه: ص37.

(63) د. علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، ص58.

(64) ينظر تفصيل ذلك في: د.أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث من ص 180- 183.

المصادر و المراجع:

1- القرآن الكريم؛ برواية ورش عن الإمام نافع، وزارة الشّؤون الدينية، طبع المؤسسة الوطني الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، 1984م

2- ابن جني: الخصائص؛ تحقيق محمد علي النجّار، المكتبة العلمية، القاهرة، دط، 2000م.

3- ابن خلدون: المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1982م.

4- ابن منظور الإفريقي:لسان العرب؛ طبعة دار المعارف.

5- أبو حيان النحوي: تفسير البحر المحيط؛ تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.

6- أبو عثمان الجاحظ: البيان و التبيين؛ تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1998م.

7- أبو علي القالي:البارع في اللغة؛ تحقيق هاشم الطعان، ط1، دار الحضارة العربية، بيروت، 1975م.

8- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، دار صادر، بيروت، دتا، و دط.

9- الترمذي؛ محمد بن عيسى: سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1994م.

10- الجوهري؛إسماعيل بن حماد:الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ.

11- السيوطي؛جلال الدين:المزهر في علوم اللغة و أنواعها، ط3، دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.

12- الزبيدي؛محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1965م.

13- الفيروز أباذي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط7، 2003م.

14- مسلم؛أبو الحسن بن الحجّاج:صحيح مسلم؛ دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1992م.

15- د.أحمد مختار عمر:

- صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م.
- علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

16- أنيس فريحة: نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م.

17- د. تمام حسان:مناهج البحث في اللغة،مكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة،دط،1990م.

18- جورجي زيدان: الفلسفة اللغوية، دار الجيل، بيروت، دط،1987م.

19- جوزيف فندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصّص،مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دط، 1950م.

20- د.رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي،القاهرة، ط6،1999م.

21- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة الدكتور كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، 1992م.

22- سوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي و محمد الشاوش و محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، لبنان، دط،1985م.

23- فوزي حسن الشايب: محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمّان،دط،1999م.

24- د. محمد حسن حسن جبل:المعنى اللغوي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م.

25- د. محمد سعد محمد: في علم الدلالة،مكتبة زهراء الشرق،القاهرة، ط1،2002م.

26- Gardiner, Alan: The Theory of Speech and Language, Oxford: Clarendon Press, 1932.

27- الكتاب المدرسي لمستوى السنة الخامسة ابتدائي.

28- الكتاب المدرسي لمستوى السنة الرابعة متوسط.

29- الكتاب المدرسي لمستوى السنة الثانية ثانوي (الشعب العلمية).